

## التفكير والقراءة.. أساس العلم



قال الإمام علي<sup>ؑ</sup> (عليه السلام): «ليس الخير أن يكثُر علْمُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْطُهُ حَلْمَكَ». هناك خير من نوع آخر في هذه الحياة، ألا وهو خير العلم النافع الذي يرفع مستوىوعي الإنسان، ويجعله منفتحاً على آفاق الحياة الواسعة، وعلى التفكير في رحابه وعظمته. وهناك الحلم الذي يعيش فيه الإنسان أسمى مشاعر إنسانيته، ويبهر أصالة أحاسيسه وعمق إدراكه وفهمه وتعامله مع كلّ الظروف والمواقف. يحتاج إلى لحظة تعلّم لأوصاعنا ومحاسبة أنفسنا، وأن نخرج من كلّ ما يجعلنا أُناساً أنا نيدين مفرطين في حبِّ الدُّنيا ومظاهرها، والتَّعْلُقُ الأعمى بفتنة المال والأولاد، وأن ننطلق بكلّ وعي، حتى نحصل على العلم المفيد، ونعيش ثمار الحلم رحمةً وبركةً على الجميع، لأنَّ الحياة تعمُر بكثرَةِ الْعِلْمِ وَعَظَمَةِ الْحَلْمِ، بما يُؤسِّسُ لِمَجَتمعٍ خَيْرٍ وَفَاعِلٍ.

الله تعالى خلق الإنسان قبضةً من طين ونفحةً من روحه، وهذه الروح الإلهية التي دخلت في تكوين الإنسان، كانت عقلًا؛ عقلاً يتحرّك، ليجعل الإنسان خليفة في الأرض، وليجعل العقل في كلّ عناصر الحياة، في عملية نموٍ وإبداع وحركة. أن تكون الحياة عقلًا ينحدر إلى العمق إلى كلّ ما في الحياة من عمق، من أجل أن يكتشف أسرارها بالعلم.. وقد قال الله سبحانه وتعالى للعقل: اقبل إليّ، افتح على آفافي، لأعطيك كلّ ما في الواقع القدرة عندي، حتى تتجه إلى الأعمق لتكشف الحقيقة. وتوجه العقل إلى ربِّه فأقبل، ليستوحى من ربِّه كلّ ما يعني عناصره في اكتشاف الكون وغيرها من العلوم، ليعرف كيف يدير الكون. قال الله جلاله: (سَذَرْ يَهْمَ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ الْجَاهِلُونَ) (فصلت/53).. فالعقل هو سر كلّ عظمة الخلق، هو القيمة التي تعطي للإنسان قيمته، فالإنسان عقل قبل أن يكون جسداً، بل إنَّ هذا النوع من التواصل بين العقل والجسد، استطاع أن يعقلن الجسد، حتى الأنبياء والأولياء، عظمتهم أنَّ عقولهم قد أخذت أساليب الكمال.

ضرورة الانفتاح الدائم على العقل، بأن نمتلك أُسس التفكير العقلية الذي يطلق الإمكانيات والقدرات، على طريق إنتاج العلم والفكر. والعقل لا يمكن أن يستدلّ إلى شيء إلا عن طريق القراءة حيث لها أهمية بالغة؛ كما في القراءة في الكون، لأنَّ الله أراد لنا أن نقرأ في كتاب الكون الذي يتمثّل بالظواهر الكونية، لنتعرّف من خلاله على النظام الكوني، حتى نتمكن من فهم معالمه وإياها،

ولنفهم ما يخترنه من أسرار، من أجل أن نمنح الإنسان من خلال هذا التدقيق في أسرار الكون، شيئاً جديداً يتصل بكلّ جوانب حياتنا، سواء في ما يتعلّق بالمرض والعاافية، أو في ما يتعلّق بحركة الإنسان في تطوير المادّة، أو في ما يتعلّق بكلّ أوضاع الحياة. وهذه القراءة يمكن أن تعطينا وعي ما أنتجه الآخرون، من خلال ما أطلقوه من تأمّلات، وما قاموا به من تجارت. ومن الطبيعي أن تكون هذه القراءة قراءةً واعيةً مفكرةً علميةً، لا تحدّق في الكتاب تحديقاً ساذجاً، بل تحاول أن تدرس ما في الكتاب، لتنقد ما ينبغي نقه، ولتقبل ما يمكن قبوله، لأنّ الآخرين قد يخطئون في تأمّلاتهم عندما يتأمّلون، وقد ينحرفون في تجاربهم أو في استنتاج التجربة عندما يجرّبون وهذا خير مثال على القراءة الوعائية لتحقيق معرفة واسعة. قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْلَمُ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* افْرَأَوْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ إِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق/ 1-5).

تنمية العقل والتفكير والتأمّل والتجربة والقراءة وال الحوار للإنسان، شبيه بتنمية الجسم بشكل يومي بالأكل والشرب النافع والمفيد الذي يحتوي الفيتامينات، والابتعاد أيضاً عن الأشياء المضرة، حتى ينمو الجسم نمواً طبيعياً، كذلك لابدّ من تربية العقل، بأن نفكّر في كلّ شيء يعرض علينا، وأن نستفيد من تجارب الآخرين، وحيازة العلم النافع، كلّ بحسب طرفة وأوضاعه، لأنّ العلم معرفة بالنفس والحياة والواقع والطبيعة والمحيط السياسي والاقتصادي الذي نعيش حاضراً، أو يمكن أن نخطّط لنعيش في المستقبل القريب أو البعيد.